

الامامة والسياسة

[48] ثم لبث أياما ، فطلع عليه راكب آخر ، فقال له عمرو: ما الخبر ؟ قال: قتل عثمان. قال: فما فعل الناس ؟ فقال: بايعوا عليا. قال: فما فعل علي في قتله عثمان ؟ قال: دخل عليه الوليد ابن عقبة فسأله عن قتله ، فقال: ما أمرت ولا نهيت ، ولا سرتي ولا ساءني. قال: فما فعل بقتله عثمان ! فقال: آوى ولم يرص ، وقد قال له مروان: إن لا تكن أمرت فقد توليت الامر ، وإلا تكن قتلت فقد أويت القاتلين ، فقال عمرو بن العاص: خلط واء أبو الحسن ، قال: ثم كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقاص يسأله عن قتل عثمان: ومن قتله: ومن تولى كبره ؟ فكتب إليه سعد: إنك سألتني من قتل عثمان ؟ وإنني أخبرك أنه قتل بسيف سلته عائشة ، وصقله طلحة ، وسمه ابن أبي طالب ، وسكت الزبير وأشار بيده ، وأمسكنا نحن ، ولو شئنا دفعنا عنه ، ولكن عثمان غير وتغير ، وأحسن وأساء ، فإن كنا أحسنا فقد أحسنا ، وإن كنا أسأنا فنستغفر الله ، وأخبرك أن الزبير مغلوب بغلبة أهله وبطلبه بذنبه ، وطلحة لو يجد أن يشق بطنه من حب الامارة لشقه. قال: وكان ابن عباس غائبا بمكة المشرفة: فأقبل إلى المدينة وقد بايع الناس عليا. قال ابن عباس: فوجدت عنده المغيرة بن شعبة ، فجلست حتى خرج ، ثم دخلت عليه ، فسألني وسألته: ثم قلت له: ما قال لك الخارج من عندك آنفا ؟ قال: قال لي قبل هذه الدخلة ، أرسل إلى عبد الله بن عامر بعهدده على البصرة ، وإلى معاوية بعهدده على الشام ، فإنك تهدي عليك البلاد ، وتسكن عليك الناس. ثم أتاني الآن ، فقال لي: إنني كنت أشرت عليك برأي لم أتعقيه ، فلم أر ذلك رأيا ، وإنني أرى أن تنبذ إليهما العداوة ، فقد كفاك الله عثمان ، وهما أهون مودة منه. فقال له ابن عباس: أما المرة الاولى فقد نصحك فيها ، وأما الثانية فقد غشك فيها ، قال: فإنني قد وليتك الشام فسر إليها ، قال: قلت: ليس هذا برأي ، أترى معاوية وهو ابن عم عثمان مخلصا بيني وبين عمله ، ولست آمن إن طفر بي أن يقتلني بعثمان ، وأدنى ما هو صانع أن يحبسني ويحكم علي ، ولكن اكتب إلى معاوية ، فمنه وعده ، فإن استقام لك الامر فلبعثني ، قال: ثم أرسل بالبيعة إلى الآفاق ، وإلى جميع الامصار ! فجاءته البيعة من كل مكان إلا الشام ، فإنه لم يأتها منها بيعة. فأرسل إلى المغيرة بن شعبة ، فقال له: سر إلى الشام فقد وليتكها. قال: تبعثني إلى معاوية وقد قتل ابن عمه ، ثم آتية واليا ، فيظن أنني من قتلة ابن عمه ؟ ولكن إن شئت ابعث إليه بعهدده ، فإنه بالحرى إذا بعثت له بعهدده أن يسمع ويطيع. فكتب علي إلى معاوية: أما بعد فقد وليتك ما قبلك من الامر والمال: فبايع من قبلك ، ثم اقدم إلي في ألف رجل من أهل الشام. فلما أتى معاوية كتاب علي دعا بطومار فكتب فيه: من معاوية إلى علي ، أما بعد ، فإنه:
